

مجلد علمی عربی

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن واسانة

- ٢ -

فأول ما افتتح به ابن واسانة قصيدته وصفه للصيدية التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :

(من لعين تجود بالهملات وأقلب مدأمة حيراث)

(يا خليلي أقصرا عن ملاهي وارثيالي من نكبتني وارحماني)

(من عذيري من دعوة أوهنت عظمي وهدت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من أجل الدعوة فقال :

(ضرب البوق في دمشق ونادوا لشقائي في سائر البلدان)

(النفير النفير بالخيل والرجل لي إلى بيت ذا الفتي الواساني)

(جمعوا لي الجموع من جيل جيل ن وفرغانة ومن دبلات)

(ومن الروم والصقال والتر لك وخلقاً من بُغَاة والآلان)

(ومن الهند والطاطم والآبر ير والكيلجوج والبيلقان)

(لم يَخْشَوْا ممن عدت من الآفاق من مسلم ولا نصراني)

(والبوادي من الحجاز إلى نهم لم مَعْدَتْهَا مع القحطاني)

هذه الأبيات نلخصن درساً في الجغرافيا . و (الكيلجوج) بحث عنه فلم اُعتد إلى

معرفة فلمل الكلمة محرفة . واما (اللان) فهي كورة بين ارمينية وبحر الخزر . و (البيلقان)

يزيادة ياء بعد الباء اسم مدينتين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احدهما

في ارمينية والأخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في أقصى الشمال من بلاد الروسية يذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتجديدها : فان الشمس لا تكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد أقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً انزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاداتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فن طوال ومن حذق بـ قصار والحول والعوران)

(وشيوخ مثل الفراخ وشباب نـ رحاب الأشداق والمصران)

(معده مجوتعت ثلاثين يوماً بسلاح الأخضراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتجهيلهم بالقدم اليه فقال :

(رحلوا من بهوتهم ليلة المَرّ فمـ من أجل أكلة بَجان)

(يركضون البريد تسعة أميال لـ ينص الوجيف والزملان)

(الوجيف) و (الزملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نهينا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة لطيفة : ذلك ان الشاعر يذكره (ليلة المرفع) كأنه يحب الناس من النصارى الذين تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأمرعوا الى الوليمة شرهاً او عيثاً في طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم وشروعهم في التفتيش عما هيء لهم ليطمئن قلوبهم فقال :

(لست أنسى مصيبي يوم جاؤو في وقد غص منهم الواديان)

(أشرفوا لي على زروع وأحطا بـ وبنت من خبزه ملاآ)

(آبن فارس ولحم طريـ وقدور تغلي على الدبكدان)

(وشواء من الجداء ومعلو فدجاج وفائق الحلات)

(وشراب الدمن زورة المة شوق بعد الصدود والمجران)

قوله (وفدور تغلي على الديكدان) في (البيتية) (الدادكان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الديكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (ديك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمعدان ومعني (الديكدان) المنصب الحديد الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد افظها (ابن واسانة) باصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدمي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في صفة سد بأجوج ومأجوج : « وفي احد الحصنين آلات البناء التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان اربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا افظها ابن واسانة والمقدمي . اما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شمالال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعنة دقدان القدر) اي ان معنى كلمة (العنة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القدر .

واختلاف الأدياء واللغويين في لفظ (ديكدان) او (دقدان) راجع الى الخلاف بين سيبويه والجهري : فالأخير اشترط في تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيبويه أحسن الله اليه لم يشترط هذا الشرط المتعيب المنصوب .

ثم وصف ابن واسانة احد المدعويين الذي سماه الهاشمي وشرحه العجيب فقال :

(يقسدم القوم هاشمي هربت الش - ذق رحب ايلمي طويل اللسان)

(هو نمس الدجاج والبط والوز - وذئب النعاج والخرفان)

ويظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشريفة ابي القاسم واخيه الفضل اللذين يقول

فيهما :

(والشريفان أشرفا في خلال ال - خيل في موكب من الحبشان)

(فابو القاسم الكبير على ط - رفر كبت أقب كالسرحان)

(واخوه الصغير يعترض الخيل - ل على قارح عريض الأبن)

(وهما يهويان بالسوط والريجة - ل الى ما يسوء في مسرعات)

وكان قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أي قلب يطبق شتم بني خدي - ر البرايا وأكرم النسوان)

(غير أني يوم القيامة اشكوهن هم إلى الحرة الحصان الرزان)

(وأنا ندي يا بنت خير النبي - بين ويا أم أكرم الفتيات)

(أي شيء صنعتُ بأهلك حتى غزواني بالسود والبيضان)

ثم جاء الدور للشعولي فوصفه قائلاً :

(والشعولي حلقه حلق نرا - من عريض الاكتاف عبل^(١) اليدان)

(لست أنساء جائياً جاحظ الأعين - من عبوساً في صورة الغضبان)

(كالهلقاب الغرثان يقتلنن اللح - من ويهوي إلى طيور الخوان)

ووصف أدبياً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت اعتد غزاه في للحين فمين غزاني)

(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومشتكي أحزاني)

(غير أنه الأيام حتى أتاني جائعاً للشقاء منذ سنات)

(كلما شققتي الفراريج شقة - من لغيطي من فعله قصاني)

(وهو في أمره مجد رخي لا - بال لم بعنه الذي قد عناني)

('مجزه' ^(٢) كالسوس في الصوف في الصبي - ف بقلب خال من الايمان)

ثم خاطب ابن المبرشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن المبرشر ما شأ - نك من بين من غزاني وشاني)

(ليس هذا من شهوة الاكل هذا - من طيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعو سماه (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً او انه يتكلم به
تبعاً وصفه فقال :

(١) قوله عبل اليدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثني الالف كقوله :

(ان اباه اباها و ابا اباه) قد بلغنا في المجد غايتها

(٢) أي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأكل كل يغزو كعنتر الشجعان)

(ليت شعري أمن رسائل بقرا - طر نفلسن او بني يونان)

ثم حمل حملة شديدة على احد المدعوين فوصفه بأقبح الأوصاف من دون ان يسميه فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قو م بلائي بذلك الطرمذان)

(الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان تقوم مقام كلمة (شارلاتان) الافرنسية . واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة فيقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ابضاً والثقل الممقوت جدير بكلمة ثقيلة مثله .

ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفتيق^(١) قدم بلا لب طويل في صورة الشيطان)

(بقفا كالعمود يستعذب الصفة - م - ورأس أصم كالسندان)

(واسع الخلق نافص العقل والدي - ن - غليظ الطباع كالصوان)

(يبلع المطجنات بلعاً بلا مضغ - خ - ويحسو النبيذ كالشعبات)

(لا تمنني يا رب حتى أراه قد تدلى وعنقه شبران)

هذا دعاء عليه بالشنق لان المشنوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه .

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان العزف فقال بهجوما :

(وأتوني بزامر زمره يحكمي حُباني العبيد والرعيان)

(الحباقي) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا النجباء في كتب اللغة .

(ومغن غناؤه بطلق البط - ن - وبأقي بالقي والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقة واحدة فقال :

(قصدت هذه العوائف حمرا يا لحيصكي وذاتي وامتهاني)

(قلت ما شأنكم ؟ فقالوا أغشنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

(١) الفتيق الفحل من الابل والقدم الاحمق البليد .

- (وأناخوا بنسا فيا لك من بو م عوس عصببر أر و نان)
 (عصبب أر و نان) اي صعب شديد . واستعمال (ابن واسانة) اكلمات اللغة بدل
 على انه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيها وشرابها .
 (تركوني يا قوم أجرد من قر خ وأعري ظهراً من الأفعوان)
 (أكلوا لي من الجداء ثلاثي - ن حنيذاً بالخل والزعفران)
 (الحنيذ) الجدي المشوي .
 (اكلوا ضعفها شواء وضعفها - ها طبخاً من سائر الألوان)
 (اكلوا لي نبالاً نبتت عة - لي بعشر من الدجاج سمات)
 لعل النباله هي ما نسميه اليوم متبل .
 (اكلوا لي مضيرة ضاعفت ضر عي بلعم الدجاج والجديان)
 (المضيرة) عند العرب لبن حامض يطبخ باللحم فلعلمها ما نسميه اليوم لبنية او اللبنة .
 يكون فيها أرز عادة والمضيرة لا أرز فيها فهي اذن الشاكرية .
 (اكلوا لي كشكية كشكشت فدا - بي وهاجت لفقدما أشجاني)
 والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجح .
 (اكلوا لي سبعين حوتاً من النهم - ر طرياً من أعظم الحيتات)
 يظهر ان محصول (بردى) من السمك منذ الف سنة كان اكثر منه الآن .
 (اكلوا لي من القرشاء والبرني - والمعقلي والصرفان)
 لعل (القرشاء) هي ما نسميه اليوم قريشة وهي ضرب من الجبن المسح بقرن .
 غير متماسك و (البرني) أجود القم . اما (المعقلي) و (الصرفان) فلم اعرفهما .
 (اكلوا لي من الكوامخ والجو ز معاً والخلاط والأجبان)
 (الكوامخ) المشبهات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشبهات
 ايضاً يتخذ من الشوندر و ابازير أخرى .
 (ومن البيض والخلاط ما نه - جز عن جمعه قري حوراث)
 (بذروا لي من السفرجل والنه - ساح والرازي والرمات)
 (والرباحين ما رهنه عليه جبني عند احمد الفاكفاني)

(الرازقي) و يسمى الملاحي (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طويل الحب ولعله المسمى اليوم (زيني) .
وهنا إشكال : وهو ان الوليمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والنفاح والعنب في جمرايا في ذلك الوقت . اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء . او اكل الذي اكلوه معقود النفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرغم يا معشر النابا من ثمانين من معيز وضاب)
(ما كفاهم تذبذبهم غنم القرية حتى أنخوا على الثيران)
(ذبحوها والدمع يجري على خددي انسياباً مثل انسياب الجمان)
(اكلوا كل ما حوته يميني وشمالتي وما حوى جبراني)
(ثم قالوا : هلم شبتاً فتنادى - ت غلامي : قم و بك خبي حصاني)
ولكن هل سكت الضيوف عن مضيقهم الذي سبهم كل هذا السب ؟ كلا بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأزبد . وقد وصف ذلك فقال :

(فقالوا علي شتاً ولعنناً واستباحوا عرضي بكل لسانني)
(من له قدرة على الهجوم يهجموني ومن كان مفعماً يلحاني)
وبعد ان فرغوا من الطعام والالتهام صدرت عنهم أعمال ممقوتة لاتليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنني بكسر الاواني)
(ثم قاموا الى الجلاهي والبا شق والاحابل والزربطان)
يعني انهم قاموا الى صيد ماني القرية من الطيور لياًكلوها فوق ما اكلوا .
(والجلاهي) بندق من طين يرمى به الطير و (الاحابل) الشاباك و (الزربطان) والزربطانة) حرقتها عوام زمانهم عن (زربطانة) وهي فناء جوفاء كالقصة اوضع فيها سهام صغار ينفخونها فتفخ في صيد الطيور فلا تكاد تحطى . وما زالت الزربطانة والبعلاهي في خدمة الانسان حتى خلفتها البندقية .

(فرأيت الحَمَامَ بعضاً على الأَرَضِ وبعضاً ملقى على الأغصان)
 (ورأيت الدجاج في وسط القرية بمَعْنَى مكشّر السيقان)
 ثم وصف تنظيمهم لأيديهم من دسم الطعام فقال :
 (اكلوا ما ذكرت ثم أضاعوا يا شقائي حملاً من الأَشنان)
 (ومن الحلب المطيب بالبساتين وماء الكافور سبع براني)
 ذكر الأَشنان ولم يذكر الصابون مع أنه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظماً
 آخر لا عهد لنا به . وهو الحلب المطيب بالكافور والبان . والبان اسم شجر ورقه كورق
 الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ؟ أو المراد بالبان ينور الحصى البان ؟ وقد قال
 انهم استعملوا من هذا الحلب المطيب سبع براني اي سبع قدور من خزف .
 ثم عاد الشاعر فذكر من تخر بهم وعيشهم وعربدتهم ما لا يكاد يصدق فقال :
 (وأقاموا سوتاسهم والمُكَّار بهن الى ان سمعت صوت الأذان)
 (ينقلون الاحطاب من حيث وافوا ها : فبالأس ضاع لي غيضان)
 (جوزه كان حملها أحسن الحمل - ل وكانت ظليمة الأفتان)
 (كان لي في فنائها منزل رَحْمَةٍ - بَاقٍ أبقى يحفه نهرا)
 (ورياض مثل البرود علاها ال - طل بين البهار والأخوان)
 (وظيور ما بينها لنفسي بجميع اللغات والألحان)
 (هي كهفي ومستظلي من الحار - رة وذخري لثائبات الزمان)
 (أحرقوها يا قوم ظلماً فكأنوا يرشقون الأحطاب بالنيران)
 (كسروا السكر فاخذت لمط فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
 (قطعوا اللوز والسفرجل قضا نأ ومالوا بها على غلامي)
 (والنواظير مددوا وعلوم حنقاً بالمعصية والغضببان)
 ثم ذكر ان ضيوفه أخشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية
 ونساءها كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً
 ما بقي على جريا الا ان تقدم لكم هذه الخدمة المغشوشة ونظم في ذلك أبياتاً رأبنا ان
 نضرب صفحاً عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :
 (ثم راحوا بعد العشاء الى دارهم فلم يتركوا سوى الحيطان)
 (كانت لي مقعدتي وفرش ملج فوقه مطرح من الميساني)
 (المطرح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان
 وهي كورة بين البصرة وواسط .

(وبساط من أحسن البسط مذخو رة لعرس او دعوة او ختان)
 (غرقوه بالبصق والبول والقيح - في فأضخى وسعره بعرتان)
 (سرقوا جبتي وسيفي وسكبي - في وخفي وجورلي ورافي)
 (الران) شبه الطماقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً . وقد قرر المجمع
 العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطماقات) التركية في ما قرر من الألفاظ .

(أوفدوا زيتنا جرافاً بلاكي - لـ يكيلونه ولا ميزان)
 (خلت داري يا اخوتي الجامع الاموي ليلاً بالنصف من رمضان)
 وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهمة شدة البسط - ثمة خرّوا صرعى على الاذقان)
 (هوموا ساعة كتهوية الخائف في غير ارضه الفزعان)

(الفزعان) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير فاصحة اي غير موجودة
 في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فزع وفازع . ففعل يصح اننا ان نستعمل كلمة
 فزعان استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي .
 ثم وصف الشاعر ما كان من ضيوفه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبيحة
 فقال :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع الشمس - سرّ ومال السجك والفرقدان)
 (يصرخون الصبح باصاحب البيد - ت فأبكوا عيني وراعوا جناني)
 (محبوبني من عقر داري على وجه - هي كاني أدعى الى السلطان)
 (بقلوب أشد حراً من الجنة - ر وأفسى من صخرة صوتان)

و يظهر ان صنيهم هذا أفزع نسوة بيته ولا سيما ابنة الصغير (ميون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رفوا لذلك الطفل ميم - وب ولا تبتسموه يا إخواني)
 (ما لي اكلة بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)
 ثم ذكر من سوء صنيهم به ما لا يكاد يصدق فقال :
 (عاقوني بفرد رجل الى السة - ف وعذبت ليمني بالدخان)
 (لو رأي أبي وأمي معكو ساً ورجلاي بالعصا لنقران)
 (بكيا رحمةً وفكاً وثافي من يديهم بكل ما يملكك)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من البلاء استغاث بالشريفين فقال :
 (قلت للفضل والشريف اغيثا في . وموتي قد حل لي خطائي)
 (واذكرا عشرتي وودتي واخلا صبي وحنأ علي واستبقياني)
 (أنما انت قتلتماني وحق الله - به من أجل اكلة نندما)
 (أشهد الله لبس عندي مشرو ب ولا يفي خزائي لقمتماني)
 (فاستشاطا غيظاً علي وقال الـ فضل قل لي بابي عين تراني)
 (أنا من أحق البرية ان صد قت ما تأتليه من أيمان)

ثم رق له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :
 (قطع الحبل فانقلبته على رأ مي وظهري واندق لي ضلعان)
 وبعد ان يش المدعوون من طعام الصبح شفوا قلوبهم بنهب الزين فقال واصفاً ذلك :
 (ثم لما تمكّن اليأس خلو في ومالوا ميلاً على الاتبان)
 (وأجيري مسخر ينقل الأث - بان بالذل عاري الجحان)
 (وهو يبي . فقلت ويحك إمانص - نزع بالزين بعد مونة الغدان)

وهل اكتفوا بالزين ؟ كلا بل .

(سرفوا السرج والقناديل والزيت وأفداحنا وكل القناني)
 (لو تزي الفضل وهو يحمل في السرّ ج قيصاً مربط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعية - من رغبة من اكبر الرغفان)
كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة - ولكن لما كان يوجد فيهم من يرحمك
ويعطف عليك ؟ فأجاب :

(ما رثي لي سوى المبارك من ضرب - في ذاك القصير الدحدحاني)
(رثياني وخفني الثقل عني فها من ملامتي سالما)
لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا . نعم
وجدت : الدردح والدردح ، والدححة والدحاح ، والدحاحة والدحاح ، والدحيدحة
- كل ذلك بمعنى القصير . فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني . او ان كلمة
الدحدحاني محرفة عن (الرحران) براءين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القرب القعر :
يقال قدح رحران اي قرب القعر مع سعة فيه .

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضراتكم أيها السادة قائلاً :
(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا - ن عراه في دعوة ماعراني)
كلاً والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا - أمر
لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك .

جرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولها في قرية جرايا منذ الف سنة
وقد استلجنا من القصيدة ان جرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران ونوفر
أسباب الرزق . اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاً ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت
معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطى اسم الهامة على اسمها . فسيها اهل دمشق حتى
بنى الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا . فأخذ اسم (جرايا) من يومئذ يدور على الأفواه
وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى جرايا . وعاد من جرايا .
وبات في جرايا .

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهني محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في
ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عزمنا على إحياء ذكر (جربا) فإننا أيضاً أردنا أن نذكر وليمة ابن واسانة .

ففي نضى يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الأول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزير المعارف والمالية إلى (الربوة) (قدمر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جربا فتسللت إليها من طريق ضيق مقعج غير معتد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا إلى نهر بردى وإذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات .

ثم جرى بنا الانوميل صُعداً في سفح هضبة ، وإذا دار تلوح لنا من بعيد ، وإذا بها الضاحية الناصع يتلألأ في خضرة تلك الرياض كقطعة ماس على بساط زبرجد . وإذا هي دار الأستاذ الخطيب ، وإذا هو يستقبلنا بدشاشته وأسنه المهودين ، وإذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، وإذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد ألف سنة من الزمان (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وهكذا كانت لنا في دار الأستاذ الخطيب . وليمة ذات رفاغية وعيش خصيب . كان الأستاذ ابن واسانة لكن من دون تبرم بالضيوف . وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عريضة ولا إفساد ، ولا تكاليف سمجة دونها خرط القناد .

فربة (جربا) اليوم أمها السادة ارض ضيقة يحدها الطرف ، ولتفتحها العين ، قناة الفيجة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقدامتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيتها ، وتجري فيها بعض العيون : منها عين القرية وعين الشاعر . ولقد تجولت في جنباتها مستطاعاً جامع آثارها القديمة . فبدأتني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها . فإذا سعة في القناة نحو متر . ولم يبق من تلك القناة الا بقية . ومن آثار القرية قساطل خزف كانت تجري فيها الماء كالقساطل المهودة عندنا . وفوق القساطل على سلك نحو ذراع ارض مباطلة وبلاطها مرصوف بالفسيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها إلى بعض . ثم على طول الزمان تراكت الأتربة على الفسيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون . ويقول فلاحوا (جربا) نقلاً عن آبائهم إن

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قرينهم سميت باسم شاعر كان يأوي اليها و يذكرها في أشعاره . هذا كل ما في جرايا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قرينهم كانت في القديم ذات عمرات عظيم وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام و صنوف الفواكه . آثار حسد ذلك الأمير الجبار ولا سيما مذ عرف ان كل ما تقدم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرايا واستصفاء أراضيها . ولو كان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية لتندرج الى هوة التعماسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرب هي . ثم لم تقم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا ما يتحدث به فلاحوا جرايا اليوم . و يغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعون من أخبار وليمة ابن واسانة المدونة في كتاب شجرة الدر للشهابي . فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرايا ويتحدثون — على مسمع من فلاحها — بخبر وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها : فعلقت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

ربما هذه الجولة في أرجاء جرايا عدت عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورؤى شاخصات للعيان ، شجوص نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات إساتين قرى الهامة والجديدة والأشرافية وغيرها من قرى الوادي . واتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متمجة تتمتع بالافق التي تجدد في الحرب وتسعى .

(ويردى كالمذنبصل او صفحة السججل)

ثم رجعت بي الذكرى الى ما قبل الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني .

وما يدري بنا ان تكون الدار حيث الدار . كما ان المضارب مضارب والأنهار أنهار ؟
بل ان هذه الشمس التي شهدت في أفق (جربا) تهوي للغروب . أليست هي نفسها
التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟

هات أبنا الشمس حدثينا عن تلك الوليمة التي كانت منذ الف سنة ، كما ستحدثين
أبنائنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم .

ففتي على أحفادنا اخبارنا كما قصصت علينا اخبار اجدادنا . صني لابنائنا الآتين
ما نحن عليه الآن ، من التفريق والخذلان ، وكآب الزمان ، وتراكم الأحزان .

قولي لهم ان أجدادكم في القرن العشرين « كانوا »^(١) في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة
الحربية والسياسية عن سائر الأمم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثرت الكذب والنفاق
والخيانة والنفاق والتباغض ونفرت كلمتهم ، وجعلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبل غفلوا
عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحيازة ما يكون فيهم ويشربون وينامون . ثم لا ينافسون
غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لا حدم ان يضر أخاه لا يضر في إلحاق الضرر به .
فجعلوا بأسهم بينهم ، والأثم من ورائهم يتعلمهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ،
واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في سراهم ،
ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون أزممتهم في اللهو واللعب ومعاينة الشهوات ،
وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئاً ، يصرفون
أموالهم في ما يقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخل شيء
حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون وينيطون المصالح العمومية
بمصالحهم الخصوصية . فربئنا من امير ين يضيع أمة كاملة . كل منها يخذل صاحبه .
ويستعدي عليه جاره . فيجد الاجنبي فيها قوة فانية . وضعفاً فائلاً . فينال من بلادهما

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تمدي الاقوياء) مقتبسة من مقال

(القضاء والقدر) احدي مقالات جريدة (العروة الوثقى) .

• ما لا يكفيه عدداً ولا عدة • شملهم الخوف ولذعر • وعمهم الجبن والخور • بفزعون من العيس •
 و يألمون من اللبس • قعدوا عن السير الى ما يلحقون به الالم في العزة والشوكة • وخالفوا في
 ذلك كله او امر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم • بنقد موز عليهم •
 و يفاخرونهم بما يعملون ويعملون • واذا اصاب قوماً من اخوانهم مصيبة او عدت عليهم عادة
 لا يسعون في تخفيف مصابهم • ولا ينبعثون لمناصرتهم • ولا توجد فيهم جماعات ملية ولا
 اخلاقية • يكون من مقاصدها احياء الغيرة • ونبيه الحمية • ومساعدة الضعفاء • وحفظ
 الحق من تعدي الأقوياء •

هكذا آيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا • وصني لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد
 اكفهرت وجوههم • ونقصت من الأمل قلوبهم • عودي فارقي بهم • وكفكتني
 من دمعهم • وبشرهم آيتها الشمس بنهضتنا الجديدة • التي شيدناها على العلم والاتحاد
 فكانت سبباً لسمادتك انتم ايها الاحفاد والسلام •

« المغربي »



عبيقريّة أمتني

- ١٤ -

أما أهاجي المنبي فتارة كان يهجر فيها ويغش ، فن هذا الشكل قوله :
وقد أرسى الخنزير أبي مدحته ولو علموا قد كان يهجي بما بطرى
ومنه قوله :

أبالنتين قد قيدني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروّع
وقدّرت من فرط الجاهالة أنني أقيم على كذب رصيف معذع
أقيم على عبد خصي منافق لئيم ردي الفعل للجود مدّع

أو كقصيدته في ضبّة ، فلا يخرج هذه الأهاجي عما يشتم به عامة القوم فقد كان
أبو الطيب يباه به مبادهة دون أن يغطيها باغطية رفيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم
ينج من هذه الشنائم حي ولا ميت وإذا كان الطعن في الميت لا بعد من مكارم الأخلاق
فالممنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق
منه تعلّم عبد شقّ هامته خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككعوب الرمح في نسق
وتارة كان يتهكم في أهاجيه تهكماً امرئاً من القذع والفحش والتهكم في الهجاء أشد
إبلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فنه قوله في كافور :
من علّم الأسود الخصى مكرمة أقومه البيض أم أباء الصيد
ومنه قوله :

من أبة الطروق يأتي مثلك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم
ومن هذا الشكل :

ومصر لعمري أهل كل عجيبة ولا مثل ذا الخصى - عجوبة بكر
يهدّ إذا عدّ العجائب أو لا كما يتبدأ في العد بالاصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كيات الخنزير والمنافق والمنبي وما شابهها من كلام العامة فهو اشد ايجاعاً وأرفع شأنًا .
 واذا لم يراع المنبي حرمة كافور في هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة في تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فعرض المنبي بتنقيص سيف الدولة وبمنته دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتم السوق .

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبرة المنبي ارتفعت في هذه الآفاق الى سماه اعلى وصبت بصباغ خاص .

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لا يخلو من بعض المساوي ، من جعلتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المنبي ، والغلو في بعض مدحه ، واللجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة .
 اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم بطبع بها الشاعر اي ممدوح حتى لا تكاد نجد فرقاً كبيراً بين ممدوحيه .

فن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطب الذي قال فيه :
 يمطي فلا مطلة بكدرها بها ولا منة ينكدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطب فقد طبع بها المنبي سيف الدولة فقال له :
 انت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل
 ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي المنبي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا
 وهذا القول او ما يقرب منه قاله في سيف الدولة :

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول
 ومن هذا الشكل قوله في المنبي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأي غير شيء ظنه رجال

وهذا القول او ما يشاكله قاله في سيف الدولة :
فكلما حلت عذراء عندهم فانها حلت بالسبي والجل
والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في ابي
المنصور الأزدى :

أمر بد مثل محمد في عصرنا لا تبلى بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد احداً وظني انه لا يخلق

ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المثنبي :
ومن علي بن عبد الله معرفتي بحمله من كعبد الله او كعلي
ثم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المثنبي
في جعفر بن كيعلف :

يا من ألوذ به فيما أولمه ومن أعوذ به مما أحاذره
وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي :

يا من نلوز من الزمان بظله ابدًا ونطرد باسمه ابليسًا

ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وإنما رغبت في ذكر انماط من امداح المثنبي
استدلالاً بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الاماديج ، فلم يكن للمثنبي في مدح بعض
مدحويه صور خاصة اي لم يصل ابو الطيب الى اعماق الممدوح حتي يستخرج منها صورة
خاصة بهذا الممدوح لتناسبه ولاتناسب غيره من الممدوحين .
فلنجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المثنبي ، من هذه العيوب الغلو في
وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شمساً
او كان صادف رأس غازر سيفه سيف يوم معركة لأعياء عيسى
او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتي جاز فيسه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه عبت فكان العالمون بحوسا
فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتي ليكاد يكون مبتذلاً .

ومن هذه العيوب ورود المتنبي في بعض مدائحه موارد مشبوهة يردّها وبصدر عنها
كثير من الشعراء ، منها قوله :
بفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل أبهى وضاح عمامته كأنما اشتملت نوراً على قبس
ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها
فلا يجاريه فيها مجار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلي قتالك والسلام وهذا المقام والاجذام
واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لوافف كأنك في جفن الردى وهو قائم
تمر بك الابطال كلى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقرها في الدرب والدم في اعطافه دفع
فأوحده وما في قلبه قلق واغضبه وما في لفظه قذع
بالجيش تمنع السادات كلهم والجيش باين ابي العجاء بمنع

ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالخي وكن يا بام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا وانت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما تري غير صاف ان تري الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد صاج يؤدبك غضباناً وبثنيك راضيا

ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجمان فاطبة هول نمته من العجاء احوال
تمّاك الحمد حتى ما لمفخر في الحمداء ولا ميم ولادال
عليه منه سراويل مضاعفة وقد كفاه من الماذي سرايل

غير ان الحلبة التي جلى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابو الطيب المنيني فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثراً ولا منه متأثراً وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للمسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد نواصلا فطريقه في ذلك يضل بسانكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اذاه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برز فيها المنيني فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كانت لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تميزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقاً بطبعه متمزجاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب ونبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذي تأنس به نفسه . ولقد مثل ابو الطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكان شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المنيني لوحاً ناطقاً يصف عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته فلم يغادر اسراً من امور تلك الحروب الا وضحى حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومما وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المنيني المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا اتكلم على عرض الجيش ذكر تجافيف الخيل ومفاضات الفرسان وترائكهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يفادر لوناً او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأننا بمحضر جيش متكامل العدة مستقيم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس الموحى الذؤابة منهم
حواليه بحر التجافيف مائل يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الاقطار حتى كأنه يجمع اشتات البلاد وينظم
وكل فتي للعرب فوق جبينه من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يده في المفاحضة ضيق وعينيه من تحت التريكة ارقم
كأجناسها راياتها وشعارها وما لبسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال وطرفه يشير اليها من بعيد فنغم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحي ويستمعها لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها فكل حصان دارع مثلث
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر اجزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يقل عن ذكر ما يأخذ
بمجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس
الخيل وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمثني تكلم على هذا كله فما سما عن
صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يفنقر اليه الشعر العربي .
ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يمد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف
انقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا الالوان من
الالوان في وصف السفن :

فاسمها نل بطريق فسكان لها ابطاها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيسار مقربة على جعافها من نصحه رثم
دهم فوارسها ركاب ابطنها مكدرودة ويقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها وما لها خلق منها ولا شيم
واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى تكاد نظن ان الروم بنهمون برأى منا
زرافات ووحدا :

سراياك تترى والدمستق هارب واصحابه قتلى وامواله نهبي
اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً وأدير اذا قبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا وبثقل من كانت غنيته رعبا
 وهل رد عنه باللقا وقوفه صدور العوالي والمطهقة القبا
 مضى بعد ما لثف الرماح ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
 ولكنه ولي وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
 وخطى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقوابين والصلبا
 ولقد اكثر من الاشارة الى حرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى خوفهم
 بصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحملون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشة وزال عنها وذاك الروح لم يزل
 فكما حلت عذراء عندهم فانما حلت بالسبي والجل
 ان كنت ترخي بان يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للعور بالحول
 ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما نجا من شفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزع
 مباشر الامن دهرآ وهو مختبل ويشرب الخمر حولا وهو منقمع
 هذا هو الوصف الذي انفرد به ابو الطيب فلا تجاربه فيه أقلام النظراء في بيتين
 من الشعر يعرض علينا صورة الجيش :

وجيش يثني كل طود كأنه خربق رياح واجهت غصنا رطبا
 كأن نجوم الليل خافت مغاره فمدت عليها من عجايبه حجا
 وفي بيت من الشعر يصف لنا تخربق منازل الروم وتخريب ديارهم :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طول
 وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء
 الروم :

وفي اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذمرت فيها القساطل
 ومن اي ما كانت يسقي جياده ولم نصف من مزج الدماء المنساطل
 ومثل هذا السحر كثير في شعر المتنبي في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن
 ان في شعراء العرب شاعرا يعلو ابا الطيب في هذا المذهب .

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعرف ابي الساقبين الغمام
سقتهم الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتهم الجحاجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها مثل طام
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها ثنائم
ظريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن اساس لها ودعائم
وفدحا كوها والمنايا حواكم فامات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرّون الحديد كأنما مبروا بجياد ما لهن قوائم
اذا يرفوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس اشرق الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمائم
تجتمع فيه كل ابن وأمة فما يفهم الحداث الا التراجم
فله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق الا صارم او ضبارم
نقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفرت من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمريك الابطال كلى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخواجة تحتها والقوادم
بضرب اتي الهامات والنصر غائب وصار الى اللبث والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للريح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدرهم
تدس بك الخيل الوكور على الدرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
نظن فراخ الفئخ انك زرتها بأمانها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشيتها يبطونها كما نمتشى سيف الصعيد الأراقم
فأبو الطيب شاعر العوالي والسوايق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كان الكلام على سير الخليل وسير الجيش وكان الكلام على حسن الثبات وفتح الحزيمة ، كان الكلام على هيأت الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها . شاهد القتال والى خيال مديد يحكي هذه المشاهد . وقد اجتمع للمنتبي شيء من هذا كله ، وإذا أضفنا ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده أكثر الغزوات والغارات والثغرة للبدو في فاتحة امره لم نعجب من نبر يزد في هذا الميدان الذي لم يلحقه به لاحق فاذا خلد ابو الطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المنتبي ولا يذكر ابو الطيب الا ذكر معه سيف الدولة فلولا وصف المنتبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صورناطقة ولولا معارك سيف الدولة لما كانت عبقرية المنتبي تخلص الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة المجتمع لشعر المنتبي مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .

وإذا كان سيف وصف المعارك شيء يسير يؤخذ به المنتبي فما هذا الشيء الا تكرار بغض الصور في هذا الوصف ، فن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقانب أقصى شربها نمل على الشكيم وادنى سيرها سرع
وهذا قريب من قوله :

وخيل يراها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فليس نقييل
ومن هذا النوع قوله وقد وصف همة سيف الدولة :

ولو كأت الخيل حتى لا تحمله تحملته الى أعدائه المهم
وهذا شبه قوله :

أكلما رمت جيشاً فالتفتى هرباً نصرفت بك في آثاره المهم
ومنه قوله وقد اشار الى تجريق منازل الروم :

عبثت تقدمهم فيه وفي بلد سكانيه رمم مسكونها حم
وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طول

لكن وحدة هذه المعاني لا تخط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل ابو الطيب المنابي ناحية من نوحى « فنى الفتيان فى حلب » فانه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد سيف شعر المنبي ما يجده سيف شعر البحترى من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، ام كانت المنبي غارفاً فى الكلام على الجماع والغلاصم وعلى القساطل والجحافل ، فشفلته دماء لرم عن الكلام على شيء من المدامة والاورار والدم :

ألمى المالك عن نحر فقلت به شرب المدامة والاورار والغفم

فلم يصل اليها شيء من نعيم سيف الدولة الا هذه الصورة التي صورها لنا المنبي فارأنا سيف الدولة جالسا في فازه من الدباج :

عليها رياض لم تحكها سحابة
وفوق حواشي كل ثوب معرجه
تري حيوان البر مصطحاً به
اذا ضربته الريح ماج كأنه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا ان المنبي لا يقصر اذا شاء عن التصاوير المشقة على ألوان براقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر الى مذهب الصق بنفسه واعلق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على ان ما خلفه لنا من وصف شعب بوتان يدل على ان عبقرية قد نسميها بها الطبيعة سيف بعض الارفات فاذا استمرت الطبيعة اوحت اليها خصائص الالوان فيطبع خياله مشاهدتها بطواع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان اسار بترجمان
طبت فرساننا والخليل حق خشيت وان كرم من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحترى الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره انما هو وصف دقيق لا يتخلو من روح وحياء فلما وصف الخوى :

وزائرقي كأن بها حياء فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسعه بأواضع السقام
 كأن الصبح يطردها فتجربيه مدامهما بأربعة سجام
 أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
 وبصدق وعدما والصدق شر إذا القاك في الكرب العظام
 انفتح فيها حياة فجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق انما هو
 وصف الاسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الاشارة الى مهابة الموصوف :
 وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
 ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنبلا
 ولا غفل عن الاشارة الى هيأته :
 متخضب بدم الفوارس لابس (في غيلة من) لبديه غيلا
 ما قوبلت عيناه الا ظننا تحت الدجى نار الغريق حلولا
 ولا اهل ذكر عيشته ومشيبته :
 في وحدة الرهبان الا انه حصيل لا يعرف التحريم والتحليل
 بطأ الثرى مترقفاً من نيه فكأنه آس يجس عليلا
 ولا قصر في تصوير استعدادده للهجوم على فرسته :
 ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
 ويدق بالصدر الحجار كأنه ينبغي الى ما في الحضيض سبيلا
 الى غير ذلك من أمرار الوصف التي دلت على ان أبا الطيب يستطيع إذا شاء ان
 يتغلغل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالا فيها حياة وشعور :
 هذا شيء من الكلام البدير على مذهب المذنب في الوصف ، فاذا برز أبو الطيب فانت
 تبرزه في وصف المعارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان
 المذنب شاعر الهيماء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وانحن الدنيا
 وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود
 عبقرته مادامنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس الى
 الموعظة والاعتبار الى ما يجري هذه الامور واشباهها ، لا خوف على خلود هذه

العبقربة ما دامت العربية لغة كثير من الخلق ، وما دام اهل هذه اللغة يتمثلون بالايات التي
تشمّل على صور الحياة بمجامعها ، كرمها ولوئها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذها ، وراحتها
وتعبها ، وخيرها وشرها ، وامها وبأسها ، فلم يخطئ ابو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذ قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقرة المنبي ، من هم الشعراء الذين اثروا
في هذه العبقرة ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقرة ابي الطيب ، وهذا
باب لا أحتاج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الشعالي والجرجاني قد
عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا
عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستمعانوا بانفاذه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابواسحاق
الصائي والاستاذ احمد بن ابراهيم الضبي وابوبكر الخوارزمي وابوالفرج البغواء والمهلبى الوزير
والسري بن احمد وابوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابوالحسن السلمي وابوالقاسم
الزعفراني وغيرهم . واما الذين استمعان بهم المنبي هم ابوقاسم وابن الرومي والاعشى وابونواس
وعبدالله بن محمد المهلبى وموسى بن جابر الحنفي وعبد الله بن طاهر والعباس بن الأحنف
والجهمي واسحاق الموصلي وابوهفان وعلي بن الجهم و يعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن
المعتمر وابوسعيد الخزومي وامرو القيس وكثير من أمثالهم فمن كان يهمه ان يعرف شيئاً من
هذا لاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الشعالي فقد شفى كل منهما وكفى وبالغ فأوفى ، اما اننا
فاني على مذهب الذي يقول : العنق العسل ولا تسل عن نمله ، فسواء علي أمرق المنبي من
الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما
أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى (١) .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن
في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة الخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما
الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيع جبري

لغة المتنبي

- ١٥ -

إذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به أبو الطيب المتنبي ، ما هي اللغة التي كان يلجأ إليها في التصوير ، ما هي مصادر هذه اللغة ، ما هي محاسنها ومقاييسها ، ولست أعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وإنما أريد بها أيضاً جملة فنه وما يشتمل عليه هذا الفن من المعاني والقلائد .

أظن أن لغة الشاعر إنما هي السحر الذي يسحر به والفننة التي يفنن بها ، فلا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا أحب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها ، فلار يب في أن لغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هذه العواطف وفجر بك القلوب ، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية أن الدكتور «ماردروس Mardrus» ترجم القرآن بعد أن استعد لهذا الأمر عشرين سنة ، وقد تكلم على هذه الترجمة أحد كتاب الفرنسيين فقال : لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع فيه المبشرون على الاعتراف بأنهم لم يستطيعوا أن يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم ، فاستنتج الدكتور (ماردروس) من ذلك أن الحكمة إذا وضعت مواضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالاً .

فهل تبسر المتنبي أن يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمى شعره شعر اللفظ

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقائق

قبل أن نثبت هذا كله لا بأس أن نعرف قليلاً من مصادر لغته ، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استعان أبو الطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه ، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وأبي نواس وكثير .

أما أبو تمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره ، لاف حبيباً كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها وبعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البينة او كالفقيه الورع يتحرق في كلامه ويخرج خوفاً على دينه (١) .
 فمرة كان يستعين بالي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصوت بها الوان الصبح
 والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هذا المعنى فوصف
 اذربيجان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمنت وليس الليل فيها باسود
 فاستحسن ابو الطيب هذا الكلام فقال في وصف منج :
 فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح منذ رحلت عنها اسود
 ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي تلفح عن دمع عيونه ، فقد رثى
 ابو تمام اسحق بن ابي ربي فقال :

شق جيوباً من رجال لو اسطاعوا لشقوا ما وراء الجيوب
 فأعجبت ابا الطيب افظة شق ما وراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يماك
 علينا لك الاسعاد ان كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب
 وحينما كان يستظهر بابي تمام على شكوى شيب الفؤاد ، فابو تمام يقول
 شاب رأسي ومارأت مشيب الرأس لا من فضل شيب الفؤاد
 فما أحب المننبي ان نفلته كلمة شيب الفؤاد فقال
 الا يشب فلقد شابت له كبدي شيباً اذا خضبتة سلوة نصلاً
 وحينما كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد بن

يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر في وقديري بنداك وهو الي منها تائب
 فأنس المننبي بتوبة الدهر فقال لعلي بن منصور الحاجب
 حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الي منها تائباً
 وكان ابو الطيب يستنزل وحيه في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال
 لك يا منازل في القلوب منازل أفقرت انت وها منك اواهل

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام
وقفت وأحشائي منازل للامني به وهو ففر قد نعتت منازل
وانقد لجأ الى ابي تمام في النفقش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن
من قوله

همة نطح النجوم وجد آلف للخصيض فهو حضيض
فأسكرته لفظه نطح النجوم فقال
شرف ينطح النجوم بروقيه وعزّ يقاقل الأجبالا
وعمد له في النفقش عن الفاظ يجعل بها الممدوح في حفظ الله ، فأبو تمام يقول في
المعتصم

لقد خان من يهدي سواد قلبه لحد سنان في يد الله عامله
فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال
على عائق الملك الأغر نجاده وفي يد جبار السماوات قائمه
ولم يشأ أبو الطيب ان يمر بتخفيف ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه ، فلما قال أبو تمام
في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له قدما نشوتا في الصبا ولدودا
قال المنبي لكافور
لبست لها كدر العجاج كأنما ترى خير صاف ان ترى الجو صافيا
ولما قال في اسحق بن ابراهيم
الا ان الندي أضفى اميرا على مال الامير ابي الحسين
قال ابو الطيب في بدر بن عمار
امير امير عليه الندي كأن له منه قلبا حسودا

اما المجتري فقد كان يأخذ عنه المنبي الفاظ الغزل ووصف الطيعة لركة ابي عبادة
فلما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للمعين عرض على خاطره بيت المجتري :
لو كان في جسبي الذي في ناظر بك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أعارني سقم جفنيه وحماي من الهوى ثقل ماتحوي مآزره
ولما أراد ان يجعل اللاما كي لونا من الألوان تذكر قول البيهري :
في كل مشرقة حصاهها لؤلؤ وتواها مسك يشاب بعنبر
فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوبه :

وليلاً توسدنا الثوبه تحته كأن ثراها عنبر في المرافق
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبته للخانق

ولما أراد ان يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فاليهري يقول في وصف
البركة :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
والمننبي يقول في وصف دار كافور :
ولوان الذي يخز من الأموار فيها من فضة بيضاء

وربما لجأ ابو الطيب الى اليهري في التقيب عن الفاظ تسير بها الأمثال فلما قال
المننبي :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد
نظر الى بيت اليهري :

اذا ما الجرح رم على فساد نبين فيه إفراط الطبيب
واما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس او صفة
من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا تنكرن لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل

ولما أراد ابو الطيب ان يجد صفة للفكر لم يجد غير الانقاد فقال :

أشقى عند انقاد فكرته عليه منها أخاف يشتمل
وهذا الانقاد اقتبسه عن ابن الرومي :

أخشى عليك انقاد الفكر لا حذرا

واذا نظرنا الى اخذ المتنبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي
تدل على هبة الممدوح واتساع مناقبه فلما قال المتنبي لكفور :

'يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعاني
خطر بباله قول ابي نواس :

كأنما انت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

اذا بدا حجت عينيك بهيبة وليس يحجبه ستر اذا احتجبا
تذكر قول ابي نواس :

ان العيون تحجب عنك بهيبة فاذا بدوت لمن تكس ناظر

اما كثير فقد كان يأخذ عنه كلمات النسب ، فمن شعر كثير :

رمثي بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جارح
وهذا البيت اوحى الى ابي الطيب قوله :

راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المتنبي ولا ينسج المقام لاستيعابها
وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبو الطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ،
يمشي على آثاره في الفاظه ، ويصب على قواله ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ،
وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعمدي^(١) أفكان أبو الطيب يميل الى شيء من البديع
تجدياً لا بي تمام ، والصحيح ان ابا الطيب استرسل في البديع ففي شعره كثير من الاستعارة

والتجليل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والنقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة .

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب ^(١) فلا مندوحة لنا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعثقت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لانهم الخيلة فاذا أحببنا ان نهز هذه الخيلة وجب علينا ان نبذل اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي بقي من النار الخاملة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينهضون في هذا الرماد حتى يتلوّث فلننظر في قسم من بديع المثني .

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا فلاقل عيش كلهم فلاقل

ومنه قوله :

أسد فرأيتها الاسود يقودها أسد تكون له الاسود ثعالبها

ومن صوره النقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل عل سل أعد زد هش بش لفضل أدن سر صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو العيجا بن حمدان يابنه وحمدان حمدون وحمدون حارث وحمدان حمدون وحمدون حارث

ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صر صر شمسها

الى آخر الابيات .

من هذه الأمثلة القليلة ينبغي اننا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٧٧ .

تقليده ابا تمام في النعج الجديد .

والى جنب هذا المطاعن مطاعن كثيرة نبته عليها الامة في القديم وفي طليعتهم الشعالي فلم يتركوا في هذا التنبه بجالات لقائل ولو أعمالنا الروية في بعض لغة المتنبي لتحقيق عندنا ان جملة مقايجه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه المقايح في بشاعة الابتدآت :

آحاد ام سداس في آحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاء ساجه
ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتثبت تسشد مسدأ في نهيا اسادها في المهمه الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور .

ام في التفاضع بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخش والتوراب .

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجردة من الصور كالجوهر والممكنات واللاهوت واشباه ذلك .

أظن ان هذه المقايح كلها اصلها فساد مسامع المتنبي فكان ابا الطيب لا ذوق له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان منشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض النوقف رجّح بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انقضى منها ^(١) وفي هذه الرواية دليل على نعبه في الشعر واكثر الذين يتعجبون في الشعر

بمعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلى م كان ابو الطيب بلجاً الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه .

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار بأخذ ماحوله فهراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء بهجم على ما ير يده لا بهالي مالتى ولاحيث وقع ^(١) فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الالبات ، فالى جنب هذه المساويء اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشير بعدد كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وساطته واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساويء كلها فلائذ وفرائد بز فيها من تقدمه وأبأس منها من تأخر عنه ، فإصح ما قاله الشعالي في تفاوت شعره :

« يحجم بين البدیع النادر والضعیف الساقط فينبأه بصوغ انحر حلي و ينظم أحسن عقد وينسج انفس وشي ويختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تنوعى اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في اشتماع والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فحما تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها صرامة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحسكك بالسنة الطاعنين فمن ممثّل بقول الشاعر :

انت العروس لها جمال رائق لكنّها في كل يوم تصرع
ومن شبه اياه من يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطهيّات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر .

هذا ما قاله الشعالي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اصكابر الشعراء قليلاً ما تناسب فصائدهم قليلاً ما تطرد حسناتهم وبيننا ابو الطيب بقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول تزلنا فتلقى الينا اهله وتزول

اذ يقول :

أغر كم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش أكل
فلست أدري ما الفرق بين قوله : علي شروب . . . وبين قول العامة في القوي
الذي لا يبالي بالضعيف : بأكله أكلاً ، فقد اثر ابو تمام في المنهبي تأثيراً حمله فيه
كثيراً من سبثانه فان هذه الكلمات : شروب ، أكل اخذها المنهبي عن أبي تمام نفسه
من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت أكبلا للنايا في ظله وشربا
وبينا نجده يقول :

ابن فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجول الشكيد

اذ يقول :

لأمة فاضة أضاء دلاص أحكت نسجها يد داود

فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا
الكلام .

ولكن قلائد أبي الطيب غطت عن هذه المفردات فلم تذكر له سببها الا ذكرت له
حسنات فلئن فتح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى المالك ما يبني على الاسل

ولئن عوص بعض شعر ، فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أمها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الحضر ،
غذي المدر ، مما يثقل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص
لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من
الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمم اذكر منها قوله : مشى عليها الدهر - شبيبة الزمان وهرمه - يبع ظلاماً -
مكرمات مشت على قدم البر - دمع الحزن - دمع الدلال - دموع تذيب الحسن -
نبثوا تحت ربابه - نسج النقع عليها برافع - القت دماء الروم طاعتها - الى غير ذلك
من آثار اللغة الشعرية .

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة
للموصوفات كل المطابقة لاتشبه الصفات العامة التي قد نطلق على كل موصوف دون شيء
من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحراء - الحسب الاغر - الرشأ الربيب -
المروج الفج - لبب الوفود - الارض الواجفة .

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا
تشبه لغة المتنبي لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا فغنوا ، فلا يدخل
ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين المجتري
مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبي لا يسمرنا بالفاظه ولا يفنننا بلغته
الشعرية ، ومع هذا فاننا لانفجر من سحره وفننته فهو كالمالك الجبار تهولنا جبر ياؤه فيسلبنا
مشيئتنا فنذعن اسلطانته سواء أعدل ام عسف ، او كالصورة الحسنة في جملتها القبيحة في
بعض انفار بقها ننظر الى جملة ألوانها فنحس في نظرها ونأمل في بعض انفار بقها فتغطي
متاعة الجملة على شناعة الانفاريق فلا نبالي بالقبح اليسير الذي يصحبه حسن كثير .

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا
الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله
أمعز الليث المزير بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعز في نجد فوارسها بسيفه وله كوفات والحرم

ومن هذا النوع قوله

قائدوكل شطبة وحصان قد براها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فليس تقبل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبني ركباني نحوه أحد ما دمت حياً وما قلقلن كيرانا
وقوله

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نقلقل دهرآ قبل في القلقل
فالتعفير والبري والقلقلة الفاظ يكررهما المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر غيرها
من الألفاظ وفي هذا التكرار ما فيه من وحدة الألفاظ أو وحدة الأسلوب .
قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بمجامع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان ننفذات
من تأثيره ، فقد قات ان المتنبي انما هو شاعر العجاء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد
فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اعتدى اليها ابو الطيب
وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بد
فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزييق وانما تزويقها في حقيقة
تعبيرها وسهولته والألفاظ التي نفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي
الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نقلقل دهرآ قبل في القلقل
فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدمة تمثل شيئاً من القاد العجاء ولبيب نارها والمتنبي
لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى الذهن
قبل الألفاظ ومرة تنوع فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحينئذ تملي عليها
الخصارة مألوف الكلام ومعناده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحينئذ تلهيها
البداوة من وحشي الألفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجف الأعراب طبعاً ،
هذه خصائص لغة تبرز لنا مجردة من كل صورة معرأة من كل نقش ، وتارة تختال
في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذك رثائتها في بعض
الأحيات ويريضك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة بصورها صاحبها دون شيء
من حشد الخاطر وتكلف الصنعة بحسب خلو الجو من التعقب والتهيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الجمل على القرينة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا
حاطت في سماء ولا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك
الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوي فكان هذا الاختلاف عنوان
عبقريته وعلامة خلوده .

قد نهزنا في المتنبي محاسن شتى اذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص
وحسن التقسيم وسياقة الأعداد والابداع في التشبيهات والتشكلات وانقضاض البكار
المعاني ، وقد نؤذينا في هذا الشعر مقامح متباينة أشرت الى ما تبسر لي منها لكن هذه
المقامح لا تعني على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي
وفي شعره شيئا لا أدري ما هو ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه
الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهويننا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي
صورة الشاعر الجبار .

شفيق جبري
عضو الجمع العلمي

جامع التواريخ

• او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة •

- ١٠ -

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقبياً بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنهما اذ ذاك (١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فتلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهرها البلد فحمل اليه ابن مكتوم كل شيء من الاطاف والهدايا قال فقال له يوماً والله ماوردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجتراء (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كانتني جميع وجوه البلد في ذلك واثاروا علي بهذا ولكن قد استحييت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم تحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد على ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه ان يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض عليّ وايس لي اليه ذنب يقتلني به احب اليّ من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

«١» في بعض المواضع جاء ابو مكتوم . «٢» بالاصل فلقه . «٣» لعله الاجتراء .

«٤» م . ع : كذا في الاصل والاولى وتخلفني جيشاً او تخليف جيش .

به فانه يظن اني واضطت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان
ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تجيئني بعد وقعة
يحدث (٢) فيها رجل ولم يبرح واخذ الى خدمته العظيمة فنفعه ذلك وتخلص
قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له
يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان فتح (٣) هذا البلد الذي اقصده
ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك
وفوتوتك فنعود العشي الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال
فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً
منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظاهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى
حضرتة فاجلسنا في فازه (٤) بهنسي (٥) لم أر قبلها مثلاً حسناً في صدرها
سدة ابنوس مضربة بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر
جداً وبين يديها بساط جرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني
ومخاد وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . م . ع يقال حدث الشاة اضجعها ليزبحها وحدث بالشاة
ذبحها وحدث بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن يحدث . وهي ابلغ .
«٣» م . ع : الظاهر افتح .

«٤» م . ع : الفازه بناء من خرق وغيرها تبني في المساكن والجمع فاز وقال الجوهري
والفازه مظلة تمد بعمود وفي القاموس بعمودين . «٥» م . ع بهنسي كورة بصعيد مصر .
ولعله فازه بهنسية . قال المقدسي يصنع بهنسة الستور والاماط . «٦» جهرم مدينة بفارس
يعمل فيها بسط فاخرة « ياقوت » .

«٧» م . ع لعله كثيراً او كبير .

زرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام ما لم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قل وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب و كوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفائزة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس واباريق فضة ومجامع فضة فجلسنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الا صاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فائزة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الاترج والبطيخ والدستبو ٦٥ او غير ذلك قال فدهشنا وتخيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس ٧٥ الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بعددنا يروحون وغلمان آخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

١٦٥ م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . ٢٥ م . ع لعله المحلاة .

٣٥ م . ع الجامر والاولى المحلاة .

٤٤ لعله سقط : سدة . ٥٥ لعله طاولة .

٦٥ م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . فالدستبو . منها . ٧٥ م . ع القدس والقدس قدح يتطهر به والقدس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور وقدر
بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مداقات (٣)
بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من العنب مما يعمل
في جبل عمان لم نطن انه يكون في تلك (٥) بحسنها وطيبها فاختر ابن
مكتوم نبذاً منها فماتت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام
يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجري يوسف
حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث
احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته
هذه قال فاخبره ان له ابي غلام اراك (٦) واربعة آلاف بقل والفي حمل
قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال وسبب خرج لم
اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له
وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركن . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الحجر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي
محرقة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع . «٤» م . ع جاشنكير
كلمة فارسية معناها مسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر
في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه ويطلق على صنف من الجنود يقوم بخدمة
المائدة في الولائم ويسمون بالعربية النذل من نذل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ
على نوع من الآنية لانه يمسك الحجر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : النواحي .
«٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا اردت انما اردت الذخائر والجواهر وما يخف
وبالجملة (١) الملوكة (٢) معهم محملاً لطيفاً اذا احزبهم (٣) امر قال فقال ابن
مكتوم لا اعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان المقتدر قد وصل اليه فقال
وما الحبل قال فص يا قوت احمر فيه خمس مشاقل الا اني ابتعت له جوهرتين
بمائة وعشرين الف درهم فقال قد انست بك واقتضى ان أريك ما صحتني
في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال
اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بسلام وقال امض فهاهنا الربعة (٤)
الفلانية قل فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية
مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منها مفتاح ذهب وتأمل اولاً
ختم الربعة ثم فتحها بالمفتاح واخرج اليها قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة
خاتم يواقيت وفير وزج وعقيق لم ير مثله فرأى اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال
فتركناه ثم اخرج اليها عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها
على قدر بيض الحية والمصفور فدهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في
خزانة خالي احمد بن هليل وخزائني من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر
اليها يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

١٦ م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملوكة او يحرف عن
ما يجعله . « ٢ » لعله سقط : يحفظون .

٣٣ م . ع كذا في الاصل والمعروف حزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتد عليه .

٤ م . ع : الربعة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع
فيه اجزاؤه . « ٥ » م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرح على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلاً لطيفاً فخله واخرج قطعاً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسلمه الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدمنا (١) في الطول والعرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه ابن هذا يابا مكتوم (٢) من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبزي* من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي بما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع (٣) عنبر فوضعت تتقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانفذ ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يتوجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم وردنا يوسف فلما وقف

«١» م . ع . كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .

«٢» كذا بالاصل والصحيح يا ابن . «٣» م . ع : لعله بشموع .

«٤» م . ع : يقال توه نفسه جبرها وطوحها . «٥» كذا بالاصل .

على الكتب تذكر عهد أبي مكتوم وذكره بالجميل وذهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ إلى أبي مكتوم هدية قيمتها مائة ألف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ إلى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع أبي مكتوم - عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل إليه ذلك .

حدثني أبو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من أهل قم قال ورد إلينا وصيف كأنه أسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم أقبل يسأل عن أمور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخي إلى أن انتهى في السؤال إلى رجل لم يكن جليلاً ولا مشهوراً ولا عرفه منا إلا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من أمره ويسأل عن معيشته وأولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني إياه احضراً جميلاً فأبى أكره أن أنفذ إليه من يستدعيه فاروعه قل فاحضرناه إياه فحين وقعت عينه عليه قام إليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) أعيننا وقلنا جاهل لا محالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجب جواب ضجر باهت معظم لما عمله فقال له حسبك قد أنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الأمير أيده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

«١» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .

«٢» م ، ع : المعروف سقط من أعيننا . «٣» بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال
يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة
التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت
الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحماني الى قم واسلمني مع
ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن الترية وفعل بي وصنع وجعل
يمد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ما كنته حتى انه ما يتأذا (٣) منه قط ولا
ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما
يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي
الدرهم شهواتي ويعطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صديقاً
كلما وقع بيدي شيء جمعه عند بقل في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأله عنه
فقال هو باق فلما بلغت واشتدت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع
هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن الي ولا
يعترض في شيء اريده علي قال واتفق ان بعض الجنود رأني فقال هل لك
في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك
على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملكني ولكن اشترى لنفسه دابة

«١» م . ع الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا . ع كذا في الاصل ،

وجعل يمد له بابا ذكره . ولعل اصله يمد ما شاء ذكره او يعدد لهم ما اثره .

«٣» م . ع كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م . ع : المعروف كفه عن الشيء وبمحتمل ان يكون الاصل

ويكفني من شهواتي

وسلاحاً واتبعك غلاماً لك مالكا لنفسي فمتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فجئت الى البقال فحاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعني دراهم وصحبت الجدي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان بأسرها وتقلبت في الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسأله ان يبينني نفسي قال فاكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله واتحمد بولائه وافتخر انا وعقبى بذلك قال فقال يا غلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسلمه الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات ما يزيد قيمته على قدر المال ثم استدعى ابنه فاحضروا كرمه وتناول (٢) له ووهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال ووهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لا تحل شيئا فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت اليها وقال يا مشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخني وماعلى الارض اهل بلد أحب الي منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» مع الظاهر ان الاصل . واخذت آلتى اي ادائى ومتاعى او : اخذت آلتى

اي سلاحى «٢» م ع بقال تناول عليه اي تطول وتفضل وتناول الرجل تمدد قائماً .

ويبني الا فيما حظرت له الديانة وليس يبني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق قل ثم سأل كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضمف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبل في عيوننا نبلا شديداً وانقلب الموكب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج ولى ابنه فصراً رئيسي البلد ولم يكن وصيف بردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ابن وصيف لسدولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويتجيب الى العامة جداً حتى كان يعود مرضعهم ويشهد جنازتهم قالوا وما رأينا اميراً أعقل منه واقصد رأيت يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق ركباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكبة (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قل فرأيتاه وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزاحمه به فجاء بمعض من كان معه يذكر ذلك وينهي الرجل فنظر اليه نظراً شزرأ جزع معه الغلام ونهني

(١) لعله : فيها «٢» م ، ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكر *

وتركه والحائث قال فرأيت أنه قد تجمع في مكانه ووسع للحائث حتى قاموا للصلاة .

بلغني من جهة وثقت بها عن أبي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج قال فحضرت مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبو زبور الكاتب يعمله في أفضائه إلى أبي العباس بن الفرات وتفويضه الأمور إليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك إلى أن قال له الناس يقولون أيها الوزير إنك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله أنا يتيم في حجر **كل** كاف .

حدثني بعض اخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) أبو أحمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت أبا علي بن مقلة إلى بغداد واستكتبني كان يعتمد نفعي بكل شيء ويوصل إلي أموالاً جلية فلم **أكن** أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي في القيان والشراب واتلفته قال فهو يت جارية في القيان صفراء (٢) واشتهر أمري معها وانفدت **كل** كسبي عليها حتى بلغ أبا علي وكان يمدلني ويوبخني ويمنعني من مفارقة حضرته وإن اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت إلى بيتي وقد حصلها غلامي واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظرف والشراب الفاخر قال

«١» معجم الأدباء ٥ : ٤٤٤ «٢» عند ياقوت أن اسمها مهجة . «٣» لعله : اخلو .

م . ع . الصواب ما في الأصل يقال اخل بالسكان وغيره إذا غاب عنه وتركه . «٤» لعله التحائف م . ع . الظاهر أنها محرقة عن التجايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان بزبن به مجلس الشراب فإذا دخل داخل رفعوا شيئاً منه بأيديهم وحيوه به . ومنه قول

فشريرت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع
 المغنية على أن كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء
 تحركت علي واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء واما كره الخدمة في
 غد واسأل قبول عذري. قال فماد اليّ الجواب بخط أبي علي بن مقلة في
 اضعاف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه يا هذا ظلمت الصفراء
 انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزأك في
 التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك مندبلاً مختوماً فاستغن (١) بما فيه
 قال ففتحت المندبيل واذا فيه رطل ند وشيء كثير من السكافور والمسك
 ومائتا دينار عيناً.

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المعجم لنفسه في معنى الصفراء
 بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:
 قال الطبيب وقد تأمل سحتي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء
 فمعجبت منه اذا اصاب ومادري قولاً ومعنى (٣) ما اراد خطاء
 حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصبية
 خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى
 صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول لعفو

النابعة (يحيون بالريحان يوم السبا سب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بهيد الكرى سجدنا له ورقنا السمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك «١» الاظهر فاستغن باللهمة
 «٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً «٣» في المعجم وظاهر .

الغفو يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا
فضحنتا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا يصيح تحم ساعة من ليلة
فتصيح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لاتجملد عليه.
قل فأتني بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر
قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق
هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قل فتسلهما وخرج
فوقف المحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه
الغلط (١) فيه لا يتلافى قل فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه
واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واقي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك
فقال للرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله
عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا و عليه اموت و عليه ابعث. فقال
له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) السياط
فأحضرت درصر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجمه الضرب قال له
يا امير المؤمنين اتق الله قد حكمت علي بخلاف حكم الله تعالى وخلاف
حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
يقابل انس حتى يقولوا لا اله الا الله فذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م. ع كذا في الاصل. ولعل أصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى. «٢» م. ع
تقدم ان المعروف هاتوا. والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر.

الأبحقهما وحسانهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى اكفر
فبقناني قال فينجل المهدي وعلم انه قد خطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الالهوازي قال
حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره
بدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كاتب السيدة يطالبني
وابا يحيى الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممتنعون
الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا
امراً عظيماً فكدنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت
لابي يحيى يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لتفكر اذا انصرفنا كيف
نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجرحه ابو يحيى الى المحاذنة
واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيى قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه
ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف
لابي يحيى افهمت يقول ابو يحيى لا فيعيد الحديث ويخرج منه الى حديث
آخر قال فلم يزل كذلك حتى حمى النهار وقربت الشمس من موضعنا
فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالمد فقلت له انه قد حمى النهار
وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورفقنا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا .

١ « لعله بالساعات » ٢ « لعله ابو يوسف اليزيدي » ٣ « بالاصل محدثاً ما طس .

٤ « ع . يقال رفق به اذا تلطف وألآن جانبه وبجمل ان تكون ورفقنا له . اي

زينا الكلام وحسنه .

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكننا بنا كرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفيناه امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمل متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شي منها وكنت انا وجماعة من التناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهاب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تخلو بهذا الرجل وتبذل له مرفقاً وتكفينا اياه قال فجيئته وخلوت به وبذلت له مرفقاً جليلاً فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيسست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام يا هذا الرجل انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزبل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صُرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين او ثلاثة فتكون قد اهاكتنسا وأُتيت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفي ويحي غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبذل

« ١ » لعله تريد « ٢ » م . ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار وانني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني (١) من لس (٢) وقع لي انه قد وقع هذا قال فقد ثبتته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم (٤) اليه رقايع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قل فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وبما (٧) ورد عليه فاهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة.

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المؤمن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشجذ فكان يعلمهم ما يعملون فسألنا عن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم ابست زي راهب وخرجت الى سرمن رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر (٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيداً بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

- «١» م. ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ او نحو ذلك
 «٢» لعله حيث . م. ع ذكرت قبل بصيغة المفرد . والمرفق ما يتفهم به .
 «٣» م. ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه . «٤» لعله خطه .
 «٥» م. ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشعري . «٦» لعله : ويخبرني بما
 «٧» م. ع الصواب المكديين بياء واحدة . «٨» الممر الدبر كما في معجم البلدان

وكنيت نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني قد دخل الى نمري
فدعاني الى الاسلام فأجبتة فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك
الاسلام فانه من هل الجنة فجئت لاسلام علي يدك قال ففرح التركي
فرحاً عظيماً شديداً ولم يحسن ان ياخذ علي الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت
الزئار وسلمت بحضرته قال فوصاني ما قيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم
واشياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم
يزي الرهبان وقلت له كما قلت الاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت
على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فلما
كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم وتفق انه كان عنده دعوة فيها
وجوهم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن
كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت علي القيامة فلما فرغت من حديث الرويا
وظهرت الاسلام على يد التركي وامرني بالجائزة وخرجت اتبني ذلك
القائد بغلام فلما بعدت من الدار فبض علي وحملي الى منزل التركي الاول
فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذات اللغلام جميع ما كان معي ليدعني
انصرف فلم يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يايا حصات (١) لنسخر
بالآتراك واحد واحد (٢) وتأخذ دراهمهم قال فقلقت فزعا وقلت ياسيدي
انا رجل صفيان (٣) فقير مكدر وانا فعلت هذا لآخذ شيئاً قال فقال لي ظننت

«١» م. ع لعله حمت من الحلم وهو الرويا «٢» م. ع كذا في الاصل.

«٣» م. ع اي رجل يصنع

انني افضحك في ذلك ما كنت بالذي فعل وقد حازت السخرية علي حتى
تجوز علي الجماعة كما جازت علي ولكن اليس انت قال فضيحة وتصفيت له
فضحك في استدعي بالبيد وشرب ولا عيبه فاستخف روحي ومهيني عذره
وخلع علي واعطاني دراهم ودعا جماعة من قواد الآراء وخرجت عليهم في
زي الصفاة فطمطوا (١) علي وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا
قال فأخذت منهم على تلك حال ملا ثانياً جليلاً ونصرفت الى بغداد فبعت
به عقاراً منه أعيش الى الآن.

تم الجزء الثامن

«٤» م. ع. العطمة حكاية صوت المجان اذا قماوا: عيط عيط وذلك اذا غلبوا
قوماً — واختلاط الاصوات وتتابعها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

- ٥ -

« الحصرم »

الحصرم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً . ابن سيده
الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين نبتت عن ابي حنيفة وقال مرة
اذا عقد حب العنب فهو حصرم . الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض .
ابو زيد الحصرم حشف كل شيء . وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً . وقال
الأصمعي الحصرم ما طال من نبات العنب شيئاً . وقال ايضا اذا لم يرو الغصن من الكرم
وخرج حبه ضعيفاً منفرداً فهو الخصاصه والحصرم .

وحصرم كل شيء حشفه . ومن امثالهم تريب قبل ان يفحصم . ويقال حصرم الكرم .
العُقَّة يلى بضم العين وفتح القاف المشددة الحصرم . عقل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَّةً يلاه .
الكحَب بالفتح الحصرم واحده كحبة لغة يمانية . وقد كحَب الكرم تكحيباً اذا ظهر
كحبه اي عنقود حصرمه . وكحَب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد تنقيح^(١) نوره كذا في اللسان
وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه .

الكحَم لغة في الكحَب واحده كحمة . وفي اللسان وقد كحَب الكرم اذا ظهر كحبه .
وهو البروق^(٢) والواحد كالواحد ونحوه في التاج .

الحُثْن^(٣) بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الدر واحده بالهاء

(١) ففتح الورد اذا نفتح وفتح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت اطرافه وكل نور
نفتح فقد نفتح وكذلك الورد وما أشبهه من براعم الأنوار .

(٢) البروق كجعفر ما يكسو الارض من اول خضرة النباتات . وشجر او نبت ضعيف
يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأى السحاب . والعرب تقول أشكر من
بروقه . وأضعف من بروقة .

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والخصص بفتحين : الحُثْن .

هكذا في اللسان والتاج . وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحُثْن .
وقال ايضاً واذا تجرد الحُثْن وعقد حبه فهو « حصرم » .
الغَضُّ قال في المخصص والغَضُّ^(١) من صفات الحُثْن وقيل كل ناعم غض وغضيب
بين الغضاضة والغضوضة . وقيل هو غض من حين بعقد الى ان يسود ويبيض . وقيل
هو بعد ان يجدر الى ان ينضج .
المحْتَض الحامض من العنب اي من أخضره . وحمض العنب .

« حب العنب وعججه »

نقدم ان الحبة تستعمل في اشياء همة فيقال حبة من بر و حبة من عنب وان الحبة
كشبة حبة العنب ايضاً^(٢) وقال الاصمعي الحبة الحب الذي في جوف الحبة من العنب .
وقال : حب كل شيء ثقیل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .
العَوَز بالفتح حب العنب واحده عوزة .
الهَبَر والهَبَرَة حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر .
العُجْد والعُجْدَة حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه . وفي التاج
العجد بالضم الزبيب وحب العنب ويفتح كالعجد والعجد . وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب
كالعجد . وعجد العنب صار عجداً . وحاكم اعرابي رجلاً الى القاهي فقال بعث به عجداً
من جهر فغاب عني . الجهر قطعة من الدهر .
الاصمعي عن اخليل الفرصيد والفرصيد حب الزبيب والعنب . وهي لغة اهل
الطائف . وفي اللسان الفرصيد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العجد ايضاً

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ما وقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من
الخطأ والتعريف .

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كشبة . وفي المخصص ويسمون
ايضاً ما في جوف الهبرة الخبة ضبط فيه بالشكل لهبرة بفتح الهاء وصريح القاموس انها
مضمومة وضبط الحبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعنى ولعلها الحبة
بالحاء المهملة .

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة اخواتها من الحب فنبات
وظهرت وارفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كان عينه عنبه طافية فسرهما
ابوالعباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .
الخذلة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش .
والجمع خدال وخذالتهما استدارتهما كأنهما طويت طيما .

الحمة نمان الحب الصغار بين الحب العظام ونوع من العنب وسياقي .
المرور المرور بالضم فيها مانناثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال
أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت مسروغها بقطوفها فسقطت أهرارها فأكلت
مرهورة فادفقت ولا طارت (الجفنة الكرمة ، والسروغ قضبانها ، والقطوف العناقيد .
ويقال لما لا ينفع ما وقع ولا طار) .

وفي الخصاص المرور والمرور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط
فيه المرور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن
قال في التاج ضبطه الصاغاني بالضم وزاد والمرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي المرور
والمرورة والمرهورة قال وهو ما تساقط من الكرم من عنبه الردي . ومرهراً ومرهراً
أكل مرور العنب .

الجثيث ما تساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فواخ النخل ولم يغرس
من النوى . وقيل الفسيل واحدته جثيثة . والجثيثة والجثيث بكسرهما حدبدة بقلع بها
الفسيل . والجثث انتزاع الشجر من اصوله .
الجثيث ما ينناثر في اصول شجر العنب .

الزواء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمر .
وسرق حب العنب يرقى سروقاً انشراً^(١) من ريج او غيره .
الخراطة بالضم ماسقط من العنقود حين يختلط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه
اخرطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عاربياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

(١) كذا في اللسان وفي التاج انشتر .

إذا اجتذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابك حتى تنقيه من عوده وذلك
الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة .

العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره . وفي الاصمعي وفنرة الهبرة
إذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة .

و يقال ما ذقت أكالا ولا تماجا ولا شماجا^(١) اي ما أكلت شيئاً واصله ما يرى به
من العنب بعد ما يؤكل . والأكل ما يؤكل والأكل بالضم ثمر النخل والشجر وكل
ما يؤكل فهو أكل وآكل الشجر والزرع اطعم .

الشحم ككشف من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء . وفي كتاب الاصمعي نقول
العرب في العنب انه لشم إذا كان رياناً^(٢) .

الضمير كما مير العنب الذابل . ضمير فهو ضمير وذلك حين يتغير وفيه الماء . يقال
اطعمونا من ضميركم . وقيل الضمير ما ضمير من العنب فليس عنباً ولا زبيباً . وفي المخصص
إذا ذبل العنب سمى الضمير فينضد في الجر ين خصلة خصلة فإذا جفت اعاليه قلب فإذا
جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثفاريق .

الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف القمر .
و يقال أفلأب العنب إذا دبس ظاهره فحول وقلب^(٣) لبببس باطنه ويقال جبد
العنب يجبر إذا صفر وقف . وفي الاصمعي ربما كان العنب جابذاً وقد جبد يجبد
إذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه . وفي المخصص جبد العنب يجبد إذا كان صغيراً مثقفاً
يعني مثقباً . « للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العربي

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم أر من ذكر شمج . ولعلها محرفة .
(٢) كذا في الأصل وصوابه ريان . (٣) يقال قلب التبن ونحوه يقلبه قلباً إذا
نضج ظاهره فحواله لينضج باطنه وأقلبه لغة ضعيفة . وأقلبت الخبزة حافت لها ان ثقل
والقلب ككبر الحديدة التي ثقل بها الأرض للزراعة .

الفاظ عربية لمعاني زراعية

- ٩ -

حرث الارض على اشكال منها شكل يسمونه في بلادنا « النقب » وهو ان تكون الارض حرجة او غيلاً او عيصاً او مرجاً او مواناً لم تعمّر بعد فنقطع أشجارها ونكسر اولنقل أشجارها ثم نحرث في عمق اربعين سنين ثم نحرث على الافل وقد يبلغ الحرث او المرستين سنين ثم نحرث أحياناً . فشق الارض المذكورة لاختنازها حرثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الخرق يقال خرق الارض خرقاً شقها للحرث (اي لجعلها حرثاً وهي الارض المصلحة للزراعة) .

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي فراخاً طيباً صالحاً للزراعة مثل قطع الشجر وحرث الشوك وابادة الاعشاب بالحرث ونفثت الصخور بالبارود او الديناميت تسمى احياء الارض واعمارها وبالفرنسية (Défrichement) .

والمواد التي يضيفها الأكادوني الى الارض على قسمين الاول يراد به تزويد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزروع ويزرع محصوله . والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها سعياً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات . فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والديبال) والاسمدة المعدنية والكبائية وامثالها . ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما .

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والديبال والسرجين فهو الزبل والديبال والسرجنة^(١) وهو بالفرنسية (Fumer) . واما اصلاح الارض المندبجة فهو الدمل والدملان . فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالديمال اصلحها به وذلك اذا كانت مدرتها لازمة مستحضة فدملت للسلس وترخو على عريق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما اصلح ما يكون للفظ (Amendement) الفرنسية .

(١) انظر مادة دمل في القاموس .

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراففة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكثف والمتداحس والمتراصف الحب وبالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشسل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe lâche) .

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنايل الحنطة مثلاً اذ منها السنايل المكثزة والمتداحسة والمتراففة الحب ومنها على العكس السنايل المتشائلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما . وتكون حبة العنب في بعض اصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحم . فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشحيم وبالفرنسية (Raisin charnu) .

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمى (العومي والعواس) وهو اكثر الاصناف انتشاراً وبظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغلزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخصيها و يبلغ رأس مخزها أحياناً . والصوفة متينة مرنة جداً ربما دقت فلم يزد ثخنيتها على ١٠ - ١٥ في الالف من المليمتر . والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ، ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدينتيهما فيهما واعتعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في أنحاء اوروبا وافريقية والشرق العربي . ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين . وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها . ومن صوفه نصنع 'نسج' الجوخ الدقيقة الحوك .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة ، ألف من بعض أعضائه لجنة تصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسيره وجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر ، ولم يكذب صدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما علقناه على الكتاب من تأويل وتفسير ، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم ، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنها نقداً وتخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمواخذة حتى شملت مواضعها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشئة عن سقوط الحروف وتكسرها وهي مما لا دخل له في عبارة الكتاب ، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطراح النظر في النقد بالجملة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصيل من جهة — ولتبين من جهة ثانية عادة نسخ ذلك الزمان في كتابة ما يكتبون ، وقد اعتمد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها ، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (بكفي) هكذا (بكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطأ الإملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنقذون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القاري . فبأقوى أحد المعترضين وبذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجحه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذكره احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعئنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد ما اعتمدنا . على اننا لا ننكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نهينا عليه في مقال خاص لنخقه في كتاب النشوار بعد نجر يده

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به اليها الفاضل السيد رشدي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته .
« لجنة التصحيح »

وهذا نص ما أرسله اليها :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزء بين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر ال ٩ من الصفحة ال ١٥ : « ونقلد ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلفت الجملة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل . وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن مجيء كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذلك العصر كانت تطلق على احد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة ال ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذلك يتولى دواوين الازمة » .

(٢) جاء في السطر ال ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجد الموفق » ، وانفذ اليه المعتضد في الجبش » . وقد علفت الجملة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمحيثها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربه او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جد وجد » .

(٣) جاء في السطر ال ٤ من الصفحة ال ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار — على سقاج قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » . والجملة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علفت عليها الجملة بانها هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء . وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطأ الناسخ ولو حذف لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف .

(٤) جاء في السطر ال ٣ من الصفحة ال ٨٩ ما يأتي : « فوعده بها وادفعه اياماً » . وقد علفت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعه) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول : تأبط شراً :

فأضربها بلا دهن نفرت صر بها للدين وللجوارف

(٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من اصحابه كثير احد »

وقد علق عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثيرين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ما تستعمل بمعنى جماعة بعد النفي ويراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فإمنكم من احد) من جماعة : (استن كأحد من النساء) جماعة من النساء ^(١) .

(٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة ٨٩ : « والقارية ساجدة عظيمة » . ويغلب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلق به الخشب صيغته له عن الرطوبة ويظهر انهم كانوا في ذلك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .

وحبذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الروايات فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان تنصرون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « اكشف » بصيغة المتكلم .

وفي السطر الثاني من الصفحة ٧٩ « لانهلكي جذعاً » بالذال والصواب « جزعاً » بالزاي .

وفي السطر التاسع من الصفحة ٧٩ « ديون المغرب » والصواب « ديوان » .

وفي السطر الثاني من الصفحة ٨٢ « وقبيع » بالواو والصواب « رقيق » بالراء .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ماعمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٦ « فأقبل علي » صاحب الديوان « بتشديد الياء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .

وفي السطر الـ ١١ من الصفحة ٩١ « مرضون عمالم » والصواب « يعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القاري فوائد شتى في الادب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو مرآة جليلة
لاوضاع الحكومة في ذلك العصر وأحوالها وطرز دارتها .

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً
جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير
شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من
الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم
(١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب . و يظن ان خزانة
لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب ممدات
وبكيل) وقد اكد له الامير احمد اخو سلطان الحج ان مخطوط الجزء الثامن منمشر جداً
في اليمن . وبما ان الاستاذ كرنكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر
استنساخها وانه لاحظ ان الهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبوريات)
ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ
كرنكو . وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحماذ . والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث
دونت باسم عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدلبرغ)
بألمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ هـ وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب
في ذلك التاريخ . وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو
من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن
مردان وفيها بيان الأسعار وقد أوردها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية .
ويجوي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند . وسيصدر الاستاذ قريباً
كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري . وقد عثر في مدينة (لكهنوء) الهند على نسخة
نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي .

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتبار

« لأسماء بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »
 « في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لنا نشر هذا الكتاب وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي واحد أستاذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق لمختصره عبد الرزاق الراسبي ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لا يمدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتمل على الأدب الى أحيائها . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائدته قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النحاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عدا بها من الامهات التي لا يستغني عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندري السبب الذي حمل محوره على نشره ثانية بعد ان أحياء بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرنويغ درنبورخ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورخ .

لا جرم ان سيفه خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حربة بالنشر لمن أراد الخدمة أكثر من نشر كتب نافذة او إعادة ما طبع منها . وقد قدّم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائده كتابه المعجب الذي حوى صورة بدیعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودوّّن فيه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الأفرنج وفروسيّتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيه أفاصيص وخرافات وغرائب ونوادر ، وألمّ بصيوده ونزواته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليجعل طبعته على

أسلوب جديد . اما ما سبها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقل عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البهتان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كانت السوربون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها لعمدنا ، وقد رأينا كيف يجود اهل الاختصاص من المصريين تأليفهم بحيث تجي متسقة جيدة النسخ والوضع . وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعسى ان ينشر الاستاذ حتي بعد الآن من مؤلفات العرب ما نفاخر به جامعة برنستون ، وان يجذو جذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم نلتحق بهمهم باحياء اثرنا . فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفرنيا بعناية العلامة بويبر كتاب الفجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونيغ ولاية مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة يال بعناية العلامة قوري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نافعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كانت مدفوناً من أمرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية . ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين تأليفين وآخر سبق غيرنا فعني بحل طلسمه . م . ك



نور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكية » تصدرها مشيخة الأزهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين . وقد حوت هذه المجلة ايحاثاً ونبذاً علمية ودينية نير الفكر وتلقن لباب الدين بأسلوب رائع عصري نلذوقه النفوس وبرنامج الى مضامينه المؤمنون وغيرهم . وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية أكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فتروج لها دوام
الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتتلطف في إشرابه القلوب . وقية اشتراكها خارج
القطر المصري ٥٠ قرشاً صحيحاً ولطالبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك



ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من أعضاء المجمع العلمي ، وس تصفح
كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ ولع الاستاذ باللغة وأدائها وحرصه على ناقين
مسائلها للطلاب ، وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول ألفاظاً كتابية اي
طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليلي بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني ألفاظاً مختلفة
في الأدب . وطائفة من جوامع التكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب
وهكذا حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوارد الفصحاء مما فيه فكاكة
وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معانها
الفصح فوائده العامة الى معان أخر : من ذلك :

- (استوى) في الفصح تساوى . واستعمله العامة بمعنى (نضج الطعام) .
 - (طفر) وثب من أسفل الى أعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .
 - (بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .
 - (الحق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .
 - (شاطر) خبيث محتال . وعندهم بمعنى (الخاذق الماهر) .
 - (عبد) الرقيق زنجياً كان او غير زنجي . وعندهم (الزنجي) رقيقاً كان او غير رقيق .
- هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نط مذكرت ، يجدر بحبي اللغة الاطلاع عليها
واستعمالها فحبي وتنشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما يندثر عادة في صحف الاخبار
ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة
التأدب) فيا ليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

شرح الأرجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حينئذ من الزمن وقد خدمها نجله اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها أكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أهم من الأرجوزة . وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فياض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس . وقد توخى فيه محاكاة المتن الاصيل فجاء عمله دليلاً على فضله وجلده . على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمه وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها ونساؤها عن كُتب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني .

الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —
Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٨٤ »

L'Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشيئاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على حجج شرعية وقرارات مجلس الادارة وحلاه برسوم . فلا يتخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الادل من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخية وتبثر المصادر . غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة يتعذر على القاري معرفة اصلها اذكر أهمها مع بعض ملاحظات :
قال سيف ص ٧٠ : عن نهر (ابانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٣ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر .

وقال في ص ٤٨٧ أم الشرافيط صوابها أم الشرافيط . وفي ص ٤٩٤ الحجج الشرعية
 تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف . وفي ص ٤٩٥ مضمومة
 صوابها المضمومة او (المعظمة) . وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النور .
 وقال في ص ٥٠٤ شقي صوابه شتوي . وفي ص ٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في بيروت لا في
 النيك . وفي ص ٥١٠ جانباً طاموسية صوابه جامع الطواويسية . وقال في ص ٥١١
 من العرب صوابه من القصب (مسجد الانصاب) . وفي ص ٥١٣ حمارة صوابه حمورة .
 وفي ص ٥١٣ بيت سروا صوابه بيت سوا . وفي ص ٥١٤ بيت سخن صوابه بيت سخن .
 وفي ص ٥١٥ المنخرة صوابه المناخلة . وفي ص ٥١٥ الفراجين صوابه الفرايين . وفي ص
 ٥١٧ صوارف صوابه صواف . وفي ص ٥٢٧ السكاكي صوابه السكاكري . وقال في
 ص ٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين . وقال في ص ٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع
 انه يزرع فيها ولا سيما في قرية كفرسوسة وغيرها .

وقد نهينا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب
 على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً
 وقوله ان الفساد الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً
 وذكره احصاءات في المساحات التي تسقى بمياه بردى ببعده عن الحقيقة بعداً شامخاً الى غير
 ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية .
 « جعفر الحسني »

موجز

« في الصكوك الجزائية »

هذا انكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك
 الخوري ومحمود بك الخماس على طلاب الصف المنهجي في معهد الحقوق بدمشق .
 وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفيه شهرة الاستاذ
 الخوري ومقدرة الاستاذ الخماس ما يكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتماد عليه .
 تارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٥٠٧ الامتيازات الاجنبية (كتاب)	٢٣٨ ابو شنب (ترجمته)	
٣٣٦ ابن تعلم المنفي (جبري)	٥٨٤ احساس المنفي (جبري)	
« حرف الباء »	٥٢٦ اخلاق المنفي	
١٨٣ و ١٨٤ بشار بن برد (شعره)	٩٣ الأدب	
« حرف التاء »	١٧ الآداب العربية الحديثة (لكتاب محفوظ)	
٦٣٦ تأثيرات حيابة (كتاب)	٧٢٥ الارجوزة بالرجز (شرحها)	
٥٢٢ تاريخ الادب (جبري)	٣٠٥ و ٢٣٠ أسامة بن منقذ (مجاعة للنعماني)	
٢٥٢ تاريخ الحركة القومية (كتاب)	٥١٣ و ٥٩٢ « و كتابه الاعتبار »	
١٨٧ تاريخ سورية (اصوله العربية - كتاب)	(انجيليبي حتي)	
٦٣٨ تاريخ اللغات السامية (كتاب)	٢١٧ الاصلوب (جبري)	
٢٥٦ تاكرونة (نصوص عربية بلغتها - كتاب)	٧٠٣ الأسمة واستعمالها (كتاب)	
٤٠٨ التدوين في الاسلام (م . ك)	٤٤٨ اصلاح الوعظ الديني	
١٨٠ التذكرة الصلاحية (لحسن حسني)	١٦٦ أطوار النقد (جبري)	
عبد الوهاب . كتاب)	٧٧٢ الاعتبار (كتاب - تقرظه)	
٦٣٢ تصحيح قصة (بشأن أسامة بن منقذ)	٦٢ الأعلام (كتاب - تقرظه)	
واجتماعه بابي العلاء)	٥٧٤ افريقية الغربية البريطانية (كتاب)	
١٩٣ تصنيف الاحياء (مقال فيه - كتاب)	٤٣٩ اكبل الحمداني (كتاب - الامير شكيب)	
(الشهابي)	٢٤١ و ٣٦٨ و ٧٦٦ الفاظ عربية لمعارف	
٤١٢ تقسيم نوب ماء دمشق ووضع اسماء	زراعية (الشهابي)	
لساعاتها (المغربي)	٣٧٧ الفاظ عربية زراعية (استمدراك طيبها)	
١٠٣ تمازج الثقافات (جبري)		

« حرف الدال »	صفحة
١٢٩ نوم الأمانة (أوناسيل اصل في اللغة	صفحة
٤٤٧ دانتي شاعر الطليان (كتاب)	العربية) (المغربي)
٥٧٦ دليل الاصطيف في سوربة (كتاب)	٤٤٥ التيجان (كتاب لابن منبه)
٥٧٢ دمية القصر	« حرف الثاء »
٥٧٣ ديوان التحقيق والمحاكات الكبرى	٩٨ ثقافة القدي (جبري)
« حرف الذال »	« حرف الجيم »
٧٧٤ ذخيرة التأديب (كتاب - تقر بظه)	٦٣٦ الجاعظ (كتاب)
« حرف الزاء »	١ و ٧٧ و ٣٨ و ٣٠١ و ٢٩١ جامع التواريخ
٦٥٢ روح المنبي (جبري)	و ٤٢٠ و ٤٧٥ و ٦٠٤ و ٦٧٨ (او لشولز)
٧٧٥ الري في غوطة دمشق (كتاب افرنسي)	٧٤٤ والمحاضرة
« حرف السين »	٤٩٢ جبر ضومط (ترجمته)
٢٢٣ مهر البقرة (جبري)	« حرف الخاء »
٥٠٩ السوربون في مصر (رسالة)	١١١ و ٣١٧ و ٦٣٢ الحافظة والمحفوظات
١٢٦ سيد قم بش (كتاب - تقر بظه)	(قوتها) (الغزي)
« حرف الشين »	٥٠ الحروف العربية (اصلاهما)
٢٥٤ شرقي الاردن (خمسة أعوام فيه)	(خالد الفرج)
٣٨٢ الشعر الجاهلي (كتاب) (جزؤه	١-٤ حوايات مصر السياسية (كتاب)
الاول مؤلفه السقا)	٤٤٩ و ٣٩٤ حياة المثني* (جبري)
« حرف الصاد »	« حرف الخاء »
٢٩ صدر الدين الشيرازي (٣) (الزنجاني)	٤٤٨ خطرات نفس (كتاب او مجموعة
« حرف الطاء »	مقالات)
٣٨١ طنطاوي جوهري (تفسيره المسمي	٥٩ خطط الشام (تقر بظه)
بالجواهر)	٥٣٧ الخيام والمعوي (مقارنة بينهما)
	(محاضرة الصراف)

صفحة	« حرف العين »	صفحة
٦٥ كلمات لغوية (صحفت في المعاجم)	٤٤٥ عبيد بن شربة (كتابه في اخبار اليمن)	٦٦٧ و ٧٢٠ مبقرة المتنبي (جبري)
(نلاليو)	١٨٩ العراق (جغرافيته)	١٧٦ و ٣٧١ عربية (أصلها) (الكرملية منش)
« حرف اللام »	٣٢٩ و ٣٢١ عربية المتنبي (جبري)	« حرف الفين »
٢٥٤ لبنان وصورية (كتاب)	٣٧٨ غادة الكيليا (كتاب - تقر بظه)	١٨٨ غولد صير (أعماله العلمية)
٧٣٢ لغة المتنبي (جبري)	« حرف الفاء »	٣١٩ فاضل (كتاب - تقر بظه)
« حرف الميم »	١٧٣ و ١٠٨ و ١٧٣ فصيح وشوارد (كلمات لغوية) (سالم رزق)	٦٦٠ فلاسفة المتنبي (جبري)
٥١٢ مبادي الميكانيك (كتاب)	٥١٠ في اوقات الفراغ (كتاب او مجموعة مقالات)	« حرف القاف »
٣٧١ المتنبي (جبري)	٥٧٤ قلب الطفل (كتاب - تقر بظه)	٥٧٥ قواعد الافعال السابية (كتاب فيها)
٦٣٥ المتنبي (كتاب - تقر بظه)	« حرف الكاف »	٣٨٣ كامل المبرد (شرحه للروصي - كتاب)
٣٧٦ المذي (وطنه) (جبري)	٢٤٤ و ٤٦٦ و ٥٦٢ (الكرم (رسالة فيه)	٦٢١ و ٦٩٧ و ٧٦٢ (الجندي)
١٣٥ المجمع العلمي اللبناني		
٥٧٧ مجموع فادر (عبد الله مخلص)		
٢٥١ و ٣١٧ و ٦٣٣ مخطوطات دار الكتب		
الظاهرية (نوادرها)		
٧٧١ مخطوطات قديمة (كركنو)		
٤٤ ممدود الكواكبي (ترجمته)		
(رافب الطباخ)		
٢٥٧ و ٣٤٧ المسكرات ومضارها (محاضرة اسمع الحكيم)		
١٨٧ معجم الادباء (جزؤه الخامس)		
٤٠٣ و ٤٦١ معجم الدكتور شرف (نظرة فيه للشهابي)		
٥٣٧ الماري والخيام (مقارنة بينهما)		
(محاضرة الصراف)		

صفحة	صفحة
١٦٠ نقد المؤرخات الادبية (جبري)	١٩١ المغرب الافاعي (الادب العربي فيه)
٧٧٣ نور الاسلام (مجلة دينية)	(كتاب)
٥٠٠ و٥٦٧ و٦٢٧ نهاية الأرب (حول	٧٠٢ المتنطف مختاراته
تصحيح جزئه السابع)	٦٢ مكذاس (كتاب في تاريخها)
٥٠٨ نيل الوطار (كتاب تراجم اليابانيين)	٧٧٦ موجز في الصكوك الجزائرية (كتاب)
« حرف الواو »	« حرف النون »
٧٠٥ و٦٨١ ولاية ابن واصافة (محاضرة	٢٤٩ الذب الطروب (احمد رضا)
المغربي)	٣٨٥ نبوة المنبي (جبري)
٤٤٥ وهب بن منبه (كتابه التبيان في	٤٩٨ نجوى آدم (فريدة) (جبري)
ملوك حمير)	٢٥٠ نزعة العيون (كتاب)
« حرف الهاء »	٢٨٣ نسب المنبي (جبري)
٦٤٠ و٥٧٦ و١٢٧ و٦٣ هدية مكتبة	٢٠١ و٣٨ و٧٧١
وهذا كتاب	نشوار المحاضرة او جامع
	٤٧٥ و٤٢٠ و٣٩١
	التواريخ
	٧٤٤ و٦٧٨ و٦٠٤
	٧٦٨
	او ملاحظات على اغلاطه

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
« الزاي »		
١٨٤ زكي مغامر	٢٩ ابو عبد الله الزنجاني	
« السين »	٥٣٧ احمد حامد العسراف	
٨٥١ و١٧٣ سالم خليل رزق	٢٤٩ احمد رضا	
٥٦٣ و٤٦٦ و٢٤٤	٥٠٠ و٥٦٧ و٦٢٧ احمد الزين	
٧٦٣ و٦٩٧ و٦٤١ سليم الجندي	٢٥٧ و٣٤٧ اسعد الحكيم	
« الشين »	١٧٦ انستاس الكرملي	
١٦٠ و١٥٣ و٢٦١ و٩٨ و١٠٣ و٩٨ و٩٣	« الباء »	
٢٧١ و٢٢٣ و٢١٧ و١٩١ و١٦٦ و١٦٦	٤٩٢ بولس الحلوي	
٣٢٩ و٣٢١ و٣١٩ و٢٨٣ و٢٧٦ و٢٧٦	« الجيم »	
٤٤٩ و٣٩٤ و٣٨٥ و٣٧٨ و٣٣٦ و٣٣٦	٣٧١ جرجس منش	
٦٣٦ و٥٨٤ و٥٢٦ و٥١٠ و٤٩٨ و٤٩٨	٥٦ و٥٧٥ و٥٧٦ و٦٣٨ و٧٧٥ جعفر الحسني	
٧٣٢ و٧٢٠ و٦٦٧ و٦٦٠ و٦٥٢ و٦٥٢	« الحاء »	
٤٣٩ شكيب أرسلات	١٨٠ حسن حسني عبد الوهاب	
« الطاء »	٢٥١ و٣١٧ و٦٣٣ حسني الكم	
٣٠٥ و٢٣٠ طاهر النعساني	« الخاء »	
« العين »	٥٣ خالد بن محمد الفرج	
٥٠٨ و٥٠٧ و٥٠٩	« الزاء »	
٧٧٦ و٥٠٩ عارف النكدي	٦٣٢ و٤٤ راغب الطباخ	
٢٥٤ عبد الله رعد	٧٦٩ رشدي الحكيم	
٥٧٧ عبد الله مخلص		

—(※、※、※) —

٢٩١ س ٩ القام صوابها القامم . وفي ص ٢٩٣ س ١٤ القرابة صوابها القرابة . وفي ص ٣٠٢ س ٨ فضاته صوابها فضاته . وفي ص ٣٠٣ س ٤ لمي صوابها لمي . وفيها س ٤ سمته صوابها سمته . وفي ص ٣١٤ س ٢١ فالرد الصواب فالردى . وفي ص ٣٧٢ س ٨ نقل الصواب ونقل . وفيها س ٨ بعاد الصواب بعد . وفي ص ٣٧٥ س ٧ قوه قاف الصواب قره قاف . وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العمانية الصواب الدرر العمانية . وفي ص ٣٨٢ س ٢٢ امم الفاعل الصواب امم المفعول . وفي ص ٣٨٦ س ١٤ بالمبني الصواب بالمتبني . وفي ص ٤٢٧ س ١٢ وفد لى الصواب وقد لزم . وفي ص ٤٣١ س ١١ وقنا الصواب وقنا . وفي ص ٥٠٧ س ٢٢ هدم الصواب هدم . وفي ص ٥٠٩ س ٤ خالطت الصواب خالط . وفيها س ٥ لابتاه الصواب لا ابتاه . وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتهما وادبهما . وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لم فيكون لها . وفي ص ٦٠٨ س ١٧ مدي الصواب مهدي . وفي ص ٧٠٩ س ٢ نفلت الصواب نفلت .

(تنبيه) — معظم الأغلط في هذا المجلد ناشي عن سقوط الحروف وتكسرهما مما لا يغيب النقطن اليه عن ذكاء القاري .